الشيْخ قِرّيـــــو وَمَنْهجهُ في نَظْمِ المُتُونِ ـ نظم العشماوية الموسوم بـ (عَوْنُ السَّاعِي فِي نَظْمِ عَشْمَاوِيةِ الرِّفَاعِي أنموجا)

د. محمد مسعود سعد أبوزيد *- بجامعة صبراتة – كلّيّة القانون– زلطن
البريد الإلكتروني abozaid90m@gmail.com
تاريخ الاستلام 2025/6/6م تاريخ القبول 2025/8/6م

Sheikh Quriyo and His Method in Composing Didactic Poems: An Analytical Study of the Poem Al-‘Ashmawiyyah Entitled ‘Awn al-Sa‘i fī Nazm ‘Ashmawiyyah al-Rifa‘i, as a Model

Dr. Muhammad Masoud Saad Abu Zaid*- Sabratha University, Faculty of Law, Zliten

Abstract

This research is driven by a deep desire to commemorate a prominent figure in the Islamic world, the revered scholar Sheikh Mohammed Muftah Qariou. His invaluable works and poetic compositions have left a clear mark on Islamic literature, and among his lasting contributions is his creative versification of the Ashmawiya text on Maliki jurisprudence.

The significance of this poetic work lies in its ability to consolidate scattered legal issues, simplify complex details, and make them more accessible for students to memorize and recall. Its importance extends beyond mere educational value, as it also plays a crucial role in strengthening identity and solidifying the roots of the Maliki school of thought in the region.

This study aims to provide a comprehensive analysis of Sheikh Qariou's methodology in this work through a descriptive and analytical approach. It will define the versification, its style, and its sources, while also highlighting the legal additions the author made to the original text. The research will also examine the legal reasoning behind his rulings, using examples from the poem to illustrate the extent of his reliance on the well-known views of the Maliki school.

Key words: Sheikh Quriyo, Didactic Poems, Al-‘Ashmawiyyah.

الملخـــــــــــص:

تنبثقُ دوافع هذا البحث من شـغفٍ عميقٍ بتخليد ذكرى عَلَمٍ من أعلام الأمة، ورمزٍ من رموزها الفكرية، ألا وهو فضـــيلة الشـــيخ العلامة محمد مفتاح قريو، الذي ترك

بصمةً واضحةً في المكتبة الإسلامية من خلال مؤلفاته ومنظوماته النفيسة؛ ومن بين هذه الآثار الخالدة، يبرز نظمه المبدع لمتن العشماوية في الفقه المالكي.

وتكمن أهمية هذه المنظومة في قدرتها على لمّ شتات المسائل الفقهية، وتسهيل استيعاب الجزئيات الصعبة، مما ييسّر حفظها واستذكارها، ويجعلها في متناول طلبة العلم، ولا يقتصر دور هذا النظم على الجانب التعليمي فحسب، بل يمتدّ ليشمل تعزيز الهوية وترسيخ المذهب المالكي في البلاد. ويهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة وافية لمنهج الشيخ قريو في هذا النظم، من خلال دراسة وصفية تحليلية تُعرّف بالمنظومة وأسلوبها ومصادرها، مع إبراز الإضافات الفقهية التي أثرى بها الناظم متن العشماوية. كما يُعنى البحث بتتبع التعليل الفقهي للأحكام من خلال أمثلة من النظم، وبيان مدى اعتماده على المشهور من مذهب الإمام مالك.

المقدمـــــة:

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، الذين حملوا أمانة العلم في صدورهم ليخرجوا البشرية من الظلماء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المصلحين والعلماء، وآله وصحبه ومن سار على منهاجه إلى يوم اللقاء.

وبعد:

فلقَدْ كانَ العُلَمَاءُ عبرَ التَّاريخِ شُمُوعًا أضَاءتِ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ، وَأوتادًا ثَبَّتَتْ بُنْيانَ المُجْتمعاتِ، ورَكَائِزَ حَافظتْ على تماسك الأمَّة أمَامَ التَّحدِّياتِ العَاتِيةِ، فمنهم من خَطَّ بِمِدَادِ قلمه كُتُبًا أصبحت مَرْجعًا للأجْيالِ، ومنهم من وَقَفَ على مَنابر المَسَاجِد يَهْدِي النَّاس إلى سَبيلِ الرَّشَادِ، ومِنْهم مَنْ صَنَعَ أجْيالًا بِيَدِه، ونَقَلَ إليهمُ الحِكْمةَ والفِقْهَ والفِكْرَ.

وإنَّ تَتَبُّعَ تُراثِ هَؤلاءِ العُلماءِ ودِراسَته وإبْرَازَه لَيْسَ مُجرَّدَ اسْتِعادة لأمْجَادِ المَاضِي أو تَرَفٍ فِكْريٍّ يَتزيّنُ به البَاحِثونَ، بلْ هو رِسالةٌ سَامِيةٌ تحمل بين طياتها دعوة للحفاظ على هُويَّةِ الأمُّةِ من التَّغْريبِ عن جُذُورِهَا، وربط حاضرها بماضيها المجيد، وهمسة في أذن جيلها الجديد أن يعيد اكشاف ذاته من خلال من سبقوه، وهو في الوقت ذاته تكريم لأولئك الذين نذروا حياتهم لخدمة العلم والدين.

ومن هؤلاء العلماء الذين سال قلمهم بمداد فكرهم، وألّفوا التآليف الكثيرة نثرا ونَظْمَا فضيلة الشيخ العلّامة محمد مفتاح قرّيو – رحمه الله – فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته النافعة، ومنظوماته الماتعة، التي من بينها (نظمه لمتن العشماوية في الفقه المالكي)، فهو نظمٌ مُهمٌّ في بابه، تتجلّى أهمّيته في جمع ما تناثر من المسائل، وتذليل ما

اعتصى من الجُزئيات؛ ليسْهُل حفظها واستذكارها، كما يُسْهمُ في الحفاظ على الهوية، وترسيخ جذور المذهب في البلاد، ليبقى حيّا شاهدا على أمانة العلماء في خدمة الدين.

لذلك رَأيْتُ أن أدرسَ منهج الشيخِ قرّيو في هذا النظم دراسةً وصفية تحليلية، من خلالِ التعريف بالنظم وأسلوبه ومصادره، والإضافات الفقهية التي أضافها الناظم على متن العشماوية، والتعليل الفقهي للأحكام عند الشيخ من خلال إبراز بعض الأمثلة من نظمه، كما يركّز البحثُ على مدى اعتماد الشيخ قريو لمشهور مذهب الإمام مالك - رضي الله عنه – في نظمه، واستخدام أدوات الاستنباط.

إشكالية البحث:

جاءت إشكالية البحث في الآتي:

- ما مدى التزام الشيخ قريو بالمنهج العلمي في منظوماته الفقهية، وما أهم ما يميز أنظامه من حيث الإفادة وجودة السبك.
- هل التزم الشيخ قريو بمشهور بمذهبه المالكي، وما هي المصادر التي اعتمدها في ذلك؟
- هل أعمل الشيخ أدوات التعليل والاستنباط في نظمه؟

أهمية البحث:

تتجلّى أهمية البحث – في نظري – من خلال النقاط الآتية:

1-التعريف بعلم من أعلام المذهب المالكي، ممن جمع بين المعقول والمنقول.

2-الوقوف على المنهجية العلمية التي كان الشيخ – رحمه الله – متّبعا لها في نظمه لمتن العشماوية، وإبراز المسلك الفقهي فيها.

3-أهمية المتن المنظوم (العشماوية) ومكانته في المذهب المالكي، باعتباره مرجعا يحتوي على خلاصة فقه العبادات في المذهب المالكي.

عملي في البحث:

-درستُ المنهجية العلمية لأبيات المنظومة كاملة

-اعتمدتُ في إثبات الأبيات ودراستها على حاشية الشيخ قريو على نظمه عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، من بداية النظم إلى فصل التيمم، بالإضافة النظم المُثبت في آثار الشيخ وفتاويه التي جمعها وحققها الدكتور جمعة الزريقي، مع الإشارة إلى الخلاف بين النسختين نفيا وإثباتا للأبيات.

-أشرت في الهوامش إلى الاختلاف – إن وجد – بين النسختين في الأبيات المستشهد بها.

-ترجمت للأعلام المذكورين في البحث باستثناء الصحابة رضي الله عنهم.

-لم أثبت النظم في نهاية البحث لطوله ولأنّه مطبوع.

خطة البحث:

قسّمتُ البحث إلى مقدمة ومبحث تمهيدي تحدثت فيه عن ترجمة الشيخ وآثاره، ومبحثين آخرين تناول الأول منهما التعريف بالنظم ومصادره، وتحدّث الثاني عن منهج الشيخ في نظمه الفقهي، من خلال المنهجية اللغوية والفقهية، وذيلته بخاتمة حوت أهم النتائج وبعض التوصيات، وهي كالآتي:

المبحث التمهيدي: التعريف بالناظم ، والمبحث الأول: التعريف بالنظم ومصادره،

المبحث الثاني: منهج الشيخ قريو في منظومته ، والخاتمة والتوصيات.

المبحث التمهيدي: التعريف بالناظم:

قال الإمام تاج الدين السّبكي[1] عن الشيخ أبي العبّاس الحجّارُ[2]:" وَذُو الاسْمِ الَّذِي هُوَ أَوْضَحُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ، أَلْحَقَ الأَصَاغِرَ بِالأَكَابِرِ، وَمَلأَ الطُّرُوسَ بِذِكْرٍ تُمْلِيهِ أَلْسِنَةُ الأَقْلامِ فِي أَفْوَاهِ الْمَحَابِرِ"[3] وشيْخنا الهُمام أشهر من أن يُعرّف به، ويُشار إلى مناقبه؛ ولكن طبيعة البحث الأكاديمية تحتّم علينا أن نترجمَ – ولو بإيجاز – للنّاظم – رحمه الله – فنذكر طرفًا من سيرته ومسيرته:

المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده ونشأته:

اسمه ونسبه: هو العالم الجليل، الإمام المُبرّزُ، الفقيه المالكي، محمد بن الشيخ مفتاح بن محمد – المُلقّب بقرّيو – بن علي بن أحمد الشاوش بن يوسف الأطرش بن إبراهيم بن أحمد بن رضوان بن الشاوش شاه الدردفي، المصراتي، الليبي، الذي ينتهي نسبه في ناصف بن سيدنا إبراهيم عليه السلام[4]

مولده ونشأته: ولد الشيخ – رحمه الله – في مدينة مصراتة بقرية الغيران، التي يطلق عليها الآن محلّة سيدي مبارك، وكان مولده قبل معركة القرضابية الشهيرة بنحو ستة أشهر، وذلك قبيل فجر الجمعة 26 جمادى الآخرة 1332ه الموافق: 22 مايو، لسنة: 1914م[5]

نشأ الشيخ في كنف والده الشيخ الفقيه مفتاح قرّيو، وكان حريصا على راحته وتعليمه، وتوفير حاجيات المعيشة له مع بقية أخوته، رغم شظف العيش، واضطراب الأوضاع بسبب الحروب[6]

وفي سنّ السابعة أدخله وألده إلى الكُتّاب لتعلّم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، وبعد ذلك واصل الشيخ تعليمه فتلقّى علوم اللغة العربية، والعقيدة، والفقه، والسلوك، ثمّ انتقل إلى زاوية سيدي أحمد زروق، وبعدها إلى الزاوية الأسمرية؛ لاستكمال رحلته العلمية والتربوية، فمكّنه ذلك من التتلمذ على أبرز مشايخ عصره، حتى تحصّل على الشهادة الأهلية من الزاوية الأسمرية سنة: 1939م، ثم على الشهادة العالمية من الجامعة الإسلامية بمدينة البيضاء سنة: 1964م[7]

المطلب الثاني- مشايخه وتلاميذه:

مشايخه[8]: أفاد الشيخ من علماء عصره، فمنهم من لازمه طويلا، ومنهم من درس عليه شيئا من العلوم، وفيما يلي ذكر لأبرز مشايخه:

1- الشيخ الفقيه اللغوي، الأستاذ رحومة الصاري، أحد كبار علماء مدينة زليتن، حيث أكثر الشيخ من الأخذ عليه وملازة دروسه، وهو أستاذه الأكبر الذي تأثّر به كما يقول الشيخ، إذا أطلق لفظ: (الأستاذ) في دروسه فيعني به الشيخ رحومة الصاري رحمه الله.

2- والده العالم الفقيه، الشيخ مفتاح قرّيو، أحد كبار علماء مدينة مصراتة، المشهود لهم بالعلم والإصلاح بين الناس، وقد درس عليه الشيخ في أيام الإيجازات الدراسية شيئا من اللغة والسيرة النبوية، كما كان يراجع معه الدروس التي تلقّاها عن مشايخه.

3- العلامة الشهير، والبحر الغزير، الشيخ النحرير منصور أبوزبيدة، من كبار علماء مدينة زليتن، الذين تولوا الإفتاء فيها والتدريس، وأحد الذين نالوا الشهادة العالمية من جامع الزيتونة المعمور، وقد أخذ عليه الشيخ في الفقه وأصوله، والتفسير، وعلوم اللغة، وإذا أطلق الشيخ لفظ: (الشيخ) في دروسه فيريد به الشيخ منصور أبو زبيدة رحمه الله.

4-العالم الجليل، والشيخ النبيل، العابد الزاهد رمضان أبو تركية، من علماء مدينة مصراتة، أخذ عليه مترجمنا في النحو والتوحيد والفقه.

تلامذته[9]: لقد تلقّى العلمَ عن الشيخ – رحمه الله – كثير من التلاميذ، لعلّ من أشهرهم: فضيلة الشيخ مصطفى عبد السلام التريكي، والشيخ الفقيه العلَم الطيب عثمان المصراتي، والشيخ صالح عبد السلام الطالب، والشيخ محمد سالم عيبلو، والشيخ يوسف حسين بادي، والشيخ مصطفى محمد محمد قواسم.

المطلب الثالث: مصنّفاته ووفاته رحمه الله:

مصنّفاته[10] لقد كان لتضلع الشيخ في العلم، وحدّة ذكاءه، أثر بارز في وفرة إنتاجه العلمي، فقد ضرب في عدّة فنون بسهمه، وسنذكر بعض ما نُشر منها:

1- تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراتة القدماء، طبع سنة: 1970م.

2-تراجم الصحابة المشهورين في الشمال الإفريقي، طبع سنة: 1394هـ.

3- جواهر الفقه المختارة من أقرب المسالك الحسن العبارة، طبع سنة: 1994، وأعيد طبعه سنة: 2008م.

4-سلم الأنشاء في قواعد الإنشاء، طبع سنة: 1994م.

5 شرح لب العقائد الصغير، طبع سنة: 1995م.

6-غاية المشتهى على سلم الإنشاء، طبع سنة: 1994.

7-معارك الجهاد التي وقعت في مصراتة زمن الحروب الإيطالية، طبع سنة: 1994.

8- نظم إعراب البسملة، طبع سنة: 2006م.

9-نظم العشماوية الموسوم بعون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، طبع سنة: 2016م.

وللشيخ مصنفات أخرى بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطا، كتب الله له الخروج.

وفاتـــــه -رحمه الله-[11]**:** بعد حياة حافلة بالعطاء، وعمر عامر بالعلم والإصلاح، وتراث علمي أثرى المكتبة الإسلامية، توفي الشيخ قرّيو – رحمه الله – عن عمر ناهز 86 سنة، وذلك في يوم الأحد السابع من ربيع الثاني لسنة: 1421هـ، الموافق: 2000/7/9م، وصلّت عليه جموع كثيرةٌ من المسلمين، ووري جثمانه الطاهر بمقبرة (سيدي مبارك) بقريته، رحمة الله تغشاه.

المبحث الأول ـ التّعْريفُ بالنّظم، ومصادره:

المطلب الأول: التعريف بالنظم:

التعريف بالمتن المنظوم: قبلَ التعريفِ بالنظم نبيّنُ في إيجاز ما هو متنُ العشماوية الذي نظمه الشيخ؟ يُعدُّ متنُ العشماوية من المُتون الفقهية التي احتلّت مكانةً مرموقة في المذهب المالكي، فهو من المُصنّفات التي جمعت بين الدقّة والاختصار، فقدْ حوى زُبْدة فقه العبادات على مذهب مالك، مما جعله محلَّ عناية العلماء وطلاب العلم عبر الأزمنة. وقد اشتهر هذا المتن بنسبته إلى مؤلّفه العلّامة الفقيه الزاهد المُتفنن: الشيخ عبد الباري بن أحمد بن عبد الغني بن عتيق ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ حسن أبو النّجا العشماوي

الرفاعيّ الأزْهري المالكي[12]. وبالنظر في هذه المقدّمة نجدها قد اشتملت على ثلاثة عشر بابا من أبواب العبادات بدءا من نواقض الوضوء وانتهاء بباب الصيام، والتزم الشيخ منهج الاختصار في إيراد المسائل والفروع مقتصرا على ذكرها مجرّدة عن أدلتها؛ لطبيعة المختصرات الفقهية، ولم يذكر الشيخ مصادره التي اعتمد عليها في تأليف هذه المقدّمة؛ لكنّ الذي يغلب عليها أن مؤلّفها انتقاها من مختصر الشيخ خليل بن إسحاق[13] كما ذكر ذلك أحدُ شُرّاحها وهو الشيخ عبد العزيز بن الصديق الغماري[14]، في شرحه الموسوم بـ: (إتحاف ذوي الهمم العلية بشرح العشماوية)[15] ومما يَميزُ هذه المقدّمة وضوح عبارتها، وسهولة أسلوبها؛ حتى يكون مناسبا للمبتدئين ومَدخلا للراغبين في دراسة المذهب المالكي.

ورغم هذا الاختصارِ سارت بها الرُّكْبان في الأمْصَارِ، وتلقّاها العلماءُ وطلبة العلم بالقَبول رغم كثرة المختصرات – لسرٍّ بين مؤلِّفها وبين ربّه – فقام جمعٌ منهم بشرحها وحلّ ألفاظها، ونشطَ آخرون لوضع الحواشي على تلك الشروح مُستدركين على ما فات أصحابها، ونظَمَ بعضهم مسائلها مقرّبا لمعانيها؛ ليسهل حفظها، ومن هذه الأنظام هذا النظم الذي هو محلُّ دراستنا.

الفرع الثاني ـ التعريف بالمنظومة:

1-عنوان المنظومـــــــة: ذكر محقق آثار الشيخ قريو الدكتور جمعة الزريقي أنّه حقق المنظومة من نسختين بخط اليد، ورَدَ على النسخة الأولى عنوانها الموسوم بـ (عشماوية الرفاعي)، والثانية لم يرد فيها ما يُشير إلى عنوان النظم[16]، ولكنّ الشيخ قريو – رحمه الله – صرّح بعنوان نظمه في حاشيته الماتعة التي وضعها كالشرح لهذه المنظومة، بقوله: " فهذه عبارات عجيبة، وتحقيقات مفيدة، جعلتها حاشية على نظمنا المُسمّى: "عَوْنُ السَّاعِي فِي نَظْمِ عَشْمَاوِيةِ الرِّفَاعِي"[17]، هذا هو العنوان الكامل للنظم، ولعلّ ما ذكره الدكتور الزريقي من الإشارة إلى شطر العنوان الأخير دون أوله، هو وهم من الناسخ الذي نسخ المخطوط.

2-محتويات المنظومة: لهذه المنظومة أهمية كبيرة؛ فهي غنية بالأحكام الفقهية، حيث جاءت في خمسمائة وخمسين بيتا من بحر الرجز أشار إلى ذلك الناظم بقوله:

أَبْيَاتُه قَدْ بَلَغَتْ خَمْسِينَ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةٍ مِنَ الْمِئِينَ[18]

رتّبَ الناظم أبوابَها وفصولَها تَرْتِيبا فقهيا مُحْكما، فبدأَ بالحمدلة والصلاةِ على نبيّه – صلى الله عليه وسلم – وغايتِه من النظم ومصادِره التي سيعتمدُ عليها، ثم شرع في نظم في أبواب المقدمة العشماوية الثلاثةَ عشر:

1- باب نواقض الوضوء.
2- باب أقسام المياه التي يجوز منها الوضوء.
3- باب فرائض الوضوء وسننه وفضائله.
4- باب فرائض الغسل وسننه وفضائله.
5- باب التيمم.
6- باب شروط الصلاة.
7- باب مندوبات الصلاة.
8- باب مفسدات الصلاة.
9- باب سجود السهو.
10- باب في الإمامة.
11- باب صلاة الجمعة.
12- باب صلاة الجنازة.
13- باب الصيام.

وأضافَ إلى هذه الأبوابِ بابينِ من تأليفه، بناءً على طلبٍ من تلاميذه حينَ اسْتَعْذَبُوا نظمَه واسْتَحْسَنوه، ورأى الشيخُ أنْ تكونَ الإضافةُ لِبَابيّ الزَّكاةِ والذَّكاةِ، لشدّةِ الحاجةِ إليهما للمبتدئِ دونَ سِواهما من الأبواب، وقد صرّح الشيخ بذلك في النظم قائلا:

واسْتَحْسَنَ الطّـــــلابُ منّي حَالَها فَطَلَبُـــوا مِنّي زِيَادَةً لَهَـــــــــــا
فَزِدْتُهَا شَيْئًا مِـــــنَ الـــزَّكَاةِ وجُمْلَـــةً تُفِيدُ فِـــــي الذَّكَـــاةِ
لِشِـــدَّةِ الحَاجَةِ فِـــــي البَابَيْنِ دَونَ سِوَاهُمَـــــا بِغَيْر مَيـــــنْ[19] [20]

كما ضمّنها -إضافةً إلى ذلك - جمعًا من المسائل النَّفِيسةِ، والفُصولِ المُفِيدةِ، التي يرغبُ فيها المُبتدئُ ويرجعُ إليها المتوسطُ والمُنتَهي، وهذه المَسائِلُ والفُصُولُ لم ينصّ عليها في نظمه، وإنما اكتفى بالإشارة إلى ذلك قائلاً:

مُلتـــــــــــزِمًا زِيَادَةَ الفَـــــــــوَائِدِ مِنْ كُلّ مَا يَرْغبُ فِيهِ المُبْتَدِي[21]

وَبِتَتَبُّعِ النَّظْمِ وَجَدْتُ أَنَّ الْفُصُولَ الَّتِي زَادَهَا الشَّيْخُ عَلَى مَتْنِ الْعَشْمَاوِيَّةِ هِيَ:

1- فصل: في الحيض والنّفاس.
2- فصل: في ما يمنعه الحدث الأصغر والأكبر.
3- فصل: في ما ينوب عن الماء في التطهير.
4- باب: الطهارة وما يتعلق بها.
5- فصل: في المسح على الجبيرة.
6- فصل: في ما يجوز فعله في الصلاة.
7- فصل: في مُحرّمات الصلاة.
8- فصل: في صلاة الجماعة.
9- فصل: في الأمور التي ليست بأعذار.
10- باب: ما يترتب على من فطر رمضان من قضاء وغيره.
11- فصل: في الإمساك (تحدّث فيه عن حكم زوال الأعذار المبيحة للفطر) .
12- فصل: في بيان الفدية.

أمّا عن التفريعاتِ والمسائلِ المُضافةِ لأبوابِ العشماويةِ التي نظَمَها فهي كثيرةٌ، كذكْرِهِ لأسبابِ التيمُّمِ، وما الذي يصلّيه المُتيممُ منِ الفرائضِ، وهذه لمْ يَذْكرهَا العشماويُّ، وإنَّما شرعَ فِي بَيانِ الفَرائضِ مباشرةً؛ ولكنَّ الشيخَ رأى الإتْيانَ بِهذهِ المسائلِ تَتميمًا للفائدةِ، وإحاطةً بأحكامِ البابِ، فقال:

لِفَقْدِ مَاءٍ أَوْ لِعَجْزِنَا عَلَيْه أوْ خَوْفِ إضْرَارٍ تَيَمَّمْ يَا نَبِيهْ[22] (23)
..... إلى آخر الأبيات

المطلب الثاني ـ مصادرُ الشيخِ قرّيو فِي نظْمِهِ:

لكلِّ فنٍّ من العلومِ مصادرُهُ التي يستمدُّ منها مادَتَه، ويستقِي منها مسائلَهَ، فِهي الأسسُ التي يَبْنِي عليها العلماءُ صُروحَ الْفِكرِ والإبداعِ، ومعرفةُ المصادرِ التي اعتمدَ عليها المؤلفُ فِي مُؤلّفِهِ أمرٌ مهمٌّ يَكشفُ لنا مَنهجيةَ المؤلفِ التي سارَ عَلَيْهَا في تأْلِيفِه، من خلالِ التعرّفِ علَى الاتّجاهِ المذْهَبِي والمدرسةِ العلميةِ التي يتَّبِعُها، ومدى اطلاعِ المؤلّفِ على المصادرِ المُعتمدةِ وإلمَامِه بها، كمَا تساعدُ في معرفةِ الإضافاتِ العلميةِ التي أفادَها المؤلّفُ منها.

وقَد اعتمدَ الشيخُ قرّيو في نظْمِهِ على المصادرِ المعتمدة المشهورةِ للمذهب المالكي إلى جانب النصِّ الأصليِّ للعشماوية؛ لبُعْدِها عن التحريفِ والتزويرِ، وصحّةِ مَا فيها،

يقولُ الإمامُ القرافيُّ[24] في الإحْكَامِ: " وعلَى هذا تحرُمُ الفتْوَى منَ الكُتُبِ الغَريبةِ التِي لمْ تَشْتَهرْ، حتّى تتظافَرَ عليهَا الخواطرُ ويُعلَمَ صِحَّة ما فِيها، وكذلكَ الكتبُ الحديثةُ التصنيفِ إذا لم يَشتهر عَزْوُ ما فيها من النُّقولِ إلى الكتُبِ المشهورةِ، أو يُعلَمَ أنَّ مُصنِّفَها كان يعتمدُ هذا النوعَ من الصّحةِ، وهوَ مَوْثوقٌ بِعدالتِهِ..." [25]
وهذه المصادرُ نصَّ عليها الشيخُ في مُقدّمةِ نَظمِهِ بقوله:

مُعوّلاً عَنْ أقْـــربِ المَسالكِ لأنَّــهُ أصَحُّ فِقْـــــــهِ مَـــــــــالِكِ
وَنَاظِـــــراً لِلْمُـــرْشِدِ المُعِينِ وَصَاحِـــــــــبِ الْمَجْمُوعِ ذِي التَّبْيِينِ
مُكْتَفِيًا بِـــــذَاكَ عَـنْ خَلِيلِ وَعَـــــنْ رِسَـــالةٍ سِـــوَى الْقَلِيلِ[26]

فبيّن الشيخُ – رحمه الله – أنَّهُ أضْفَى على مَتْنِ العشماويةِ الذي نظمَهُ حُلّةً منَ الفوائدِ التي يَرغبُ فيها المُبْتدئُ في دراسةِ الفقهِ المَالكيّ، وهَذه الفَوَائدُ عَوّل فيها على:
ـ أقربِ المسالك إلى مذهب الإمام مالك، لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير(ت1201هـ).
ـ المُرشدِ المُعينِ على الضّروري من علومِ الدّين، لعبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي (1040هـ).
ـ المَجْموعِ، لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السنباوي الأزهري، الشهير بالأمير(تـ 1232هـ).
هذه الثلاثةُ هي التي عليْها المُعوّلُ، ومِنها اسْتقَى الشيخُ مادّتَه العليمةَ، وَاكْتفَى بها عنْ بقيةِ المَصادرِ إلاّ مَصدرينِ اثْنَينِ أشارَ إلَى أنَّه سَيَنْظرُ فِيهما نَظرًا يَسيرًا فِي بعضِ المسائلِ، وهما:
ـ مختصرُ خليلٍ، لأبي المودّة ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى الجندي المالكي (تـ 776هـ).
ـ الرسالةُ، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، (تـ 386ه).
وقد نقلَ الشيخُ منها بطريقةِ الاقْتِباس كثيرًا، كقوله – مثلا - في سنن الغسل:

وَكَـــــالوُضُوءِ سَهْوُ الأغْتِسَالِ وَلا يُعَادُ بَعْدَه الْمُـــــــــوَالِي[27]

هذا البيتُ مُقتبسٌ من قولِ الإمامِ ابن عاشرٍ في سُننِ الغُسْل:

والكلُّ مَسْجِدًا وَسَهْوُ الاغْتِسَالْ مِثْلُ وُضُوئِكَ وَلَمْ تُعِدْ مُوَالْ[28]

وكذا في قوله:

وَجَـــازَ الاسْتِجْمَارُ[29] **دَوْمًا إنْ يَكُنْ بِيَابِسٍ وَطَـــــــاهِرٍ مُنْقٍ حَسَنْ**
وَلَيْسَ مُـــــــــؤْذِيًا وَلا مُحْتَرَمًـا لِطَعْمٍ أوْ تَشْرِيفٍ أوْ عِزٍّ نَمِى[30]

فهو مُقتبسٌ منْ قولِ الشيخِ الدرديرِ: " وَجَازَ الِاسْتِجْمَارُ بِيَابِسٍ طَاهِرٍ مُنْقٍ غَيْرِ مُؤْذٍ وَلَا مُحْتَرَمٍ لِطَعْمِهِ أَوْ شَرَفِهِ..."[31]، وأكثرُ الأبياتِ التي ليْستْ منْ مَتنِ العشماويةِ مُقتبسةٌ مِنْ هذا المصدرِ، وقدْ ذكرَ الشيخُ بأنَّ أكثرَ التَّعويلِ سيكونُ عليْه، لأنَّه لخّصَ المُعتمدَ منْ فقهِ مّالكٍ - رضي الله عنه -، وأحيانًا – في موضع أو موضعين – يقتبسُ الشيخ البيتَ من كلامِ الشيخ الصَّاوي[32] في حاشيته على الشرح الصغير على أقرب المسالك، كقوله:

والطُّهْرُ فِي أَشْيَاءَ بِالنَّارِ حَصَلْ وَاخْتُصَّ كَيْمَخْتٌ[33] **بِدَبْغٍ لِلْعَمَلْ**[34]

وهو قول الشيخ الصاوي في بلغة السالك: " وغيرُ المَائيةِ بدَابغٍ في كَيْمَخْتٍ فقطْ، ونارٍ علَى الرَّاجِحِ فِيهمَا..."[35]

أما المَجموعُ فقد عوّل عليه في كثير من المسائل، منها مسألة استصحاب الماء لمن قصد الصحراء حين تُدْركُه الصلاةُ فيها، فقال:

وَلَمْ يَجِبْ تَزَوّدٌ بِالمَــاءِ قَبْلَ دُخُولِ الوَقْتِ فِي الصَّحْرَاءِ[36]

وهو قول الأميرِ: "ولا يَلْزَمُه اسْتِصْحَابُ المَاءِ كَمَا فِي الْحَطَّابِ وَغَيْرِه"[37] ، والمصدرانَ الأخيرانَ لم ينظر الشيخ فيهما إلا عند إضافتِه لبعضِ الجزئياتِ غيرِ الموجودةِ في المصادرِ الثلاث؛ لأنَّ فيها الكفايةَ كما ذكرَ في النَّظمِ، كقوله:

أوْ كَانَ سُؤرَ[38] **حَائِضٍ أوْ جُنُبِ أوْ سُؤْرَ عَجْمَاءَ بِنَصِّ الْمَذْهَبِ**[39]

هو معنى قول الشيخ خليل: " أَوْ كَانَ سُؤْرَ بَهِيمَةٍ أَوْ حَائِضٍ أَوْ جُنُبٍ"[40]
وفي المنظومة بيتٌ هو من نظم أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك، وهو قول الشيخ:

وسُتْرَةٌ لِلْفذِّ والإمَـــــــامِ إنْ خَشِيَ المُرُورَ مِنْ أمَامِ(41)

ولم يُشر الشيخ في مقدمته إلى أنه اعتمده مرجعا من مراجعه التي سيعوّل عليها، وربما يكون البيت من إضافة الناسخ أو اختلط بحفظ الشيخ دون الإشارة إلى ذلك.

المبحث الثاني ـ منهج الشيخ قرّيو في منظومته:

المطلب الأول ـ منهج الشيخ قرّيو اللغوي:

اعتنى الشيخ قريو في نظمه بالجانب اللغوي؛ لتجنيب المنظومة ما يَشينُ ألفاظَها، ويُعقّدُ فهم معانيها، وتجلّى ذلك الاعتناء في الآتي:

1-جزالة الأسلوب ووضوح العبارة: عُرفَت المختصرات الفقهية المالكية بكثافة معانيها ودقّة ألفاظها، مما جعل الاستفادة منها شاقة وتتطلبُ جهدا كبيرا من طلاب العلم، وبخاصة المبتدؤون، وقد كان الشيخ واعيا بهذه الإشكالية، فسعى إلى تيسير العبارة وتبسيط الأسلوب لتسهيل الوصول إلى المعاني والأحكام، وهذا ما أشار إليه بقوله في المقدّمة:

نَظَمْتُها مُسَهِّلًا لِحِفْظِها مُجْتَنِبًا مَا شَانَ وَزْنَ لَفْظِهَا(42)

فهو يشير في هذا البيت إلى أنَّه قصد من نظمه لمتن العشماوية تقريبَه للطالب، وتذليلَه للراغب، مُجتنبا في ذلك العيوبَ العَروضيةَ التي تشينُه وتُذْهِبُ رَوْنَقَه، فكان لا يأتي بالمصطلحاتِ الغامضةِ، ويَحرصُ على تصوير المسائل لتقريبها إلى الذِّهْنِ، فمثلا عند ذكره لفضائل الصلاة صوّر للقارئ الصفةَ الكاملة للمصلّي أثناء ركوعه، وماذا يقولُ فيه، فقال:

وبسْـــطُ ظَهْرٍ وَضْعُكَ اليَدَيْنِ لَدى الرُّكوعِ فَـــــوْقَ الرُّكْبَتَيْنِ
نَصْبُهُما كَـــذَلِك التسْبِيـــحُ فِيه وَفِي السُّجُودِ يَا فَصِيحُ(43)

فوصفَ في هذين البيتين هيئةَ الرّكوعِ الكاملةَ، وصوّرها للقارئ، وذلك ببسط الظهر واستقامته بحيث يكون متساويا مع الرأس، ووضعِ اليدين فوق الركبتين ممدودتين منتصبتين، مع التسبيح في هذا الموضع وفي السجود.

كما ضرب الشيخ الأمثلةَ لإيضاح الأحكامِ الشرعية، فمثلا عند بيانه لمسألةِ من زال عذْرُه المبيحُ للفطر خلال شهر رمضان، مع العلم به، وعدمِ الإكراه على الفطر لا

يُلزمُ بالإمساك عن الطعام والشراب بقية اليوم؛ لأنَّ صومه قد فسد بسبب الإفطار المباح الذي بدأه، ثمّ مثّل لذلك بالمرض والعمل الشاق والجهاد والسفر، فقال:

وكـــــلٌّ من يَزُولُ عُذْرُهُ الْمُبِيحْ لِفِطْرِهِ طَــوْعًا مَـعَ الْعِلْمِ الصَّحِيحْ
بِغُــرّةِ[44] الشّهْرِ فلَيْسَ يُمْسِكُ بَقِيّـــةَ الشّهْـرِ وَلاَ يَسْتَمْســـــكُ
كَمُفْطِرٍ لِمَـــــرَضٍ أوْ لِضَـــرَرْ لِحَصْدِ زَرْعٍ أوْ جِهـادٍ أوْ سَفَـرْ[45]

2-استخدامه للأساليب البلاغية: مما أضفى لمسةً بيانةً على المنظومة الفقهية، استخدام الأساليب البلاغية، والمُحسّنات المعنوية، فقد استثمرها المؤلف لتوضيح المعاني، وبيانِ الأحكام، فنجده مثلا يستعملُ أسلوبَ اللّفِ والنّشر المُرتّبِ؛ ليخلق تماسكا وترابطا بين الأفكار، يجعلُ القارئ يندمج مع الأحكام المُبيَّنة، مثال ذلك: ما ذكره الناظمُ في باب موجبات الوضوء والغسل، فأوضح بأنّ النواقض قسمان أحدث وأسباب أحداث، فقال:

اعْلَمْ أخِي وُفِّقْتَ لِلْإتْقَـــانِ أنَّ نَوَاقِضَ الْوُضَو[46]قِسْمانِ
إحْدَاثُنا أسْبَابُهَا أمَّا الأُوَلْ...[47]

ثمّ شرع في بيانها على أسلوب اللّفِّ والنّشْرِ المُرتّب، بقوله: (أمّا الأُوَلْ)، أي الأحداثُ وهي...

ونجده في مواضع أخرى يستعملُ أسلوبَ التفصيلِ بعد الإجمال، وهو أسلوبٌ بلاغيٌّ يعملُ على تماسك النّص وإيضاحِ مُبهمه، وهو من آلياتِ خلق الحبك وجودةِ السَّبْكِ أو الإنسجامِ، وفي ذلك يقول الجاحظ[48]: "وأجْوَدُ الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أُفرغ إفراغا جيدا وسُبك سبكا واحدا"[49]

ومما لا شكّ فيه بأنّ التفصيلَ بعد الإجمال يثير فضولَ المتلقّي لمعرفة التفاصيلِ، فهو أوقع في النفس لما هو مركوز في الطباع من أنَّ إبهامَ الشيءِ يشوّق إلى تفصيله وإيضاحِه، فمثلا عند ذكر الشيخ لنواقضِ الوضوء أجْملَ بتقسيمه لها إلى أحداث وأسباب أحداث، وأنَّ لِكُلٍّ سبعةً، ثمّ فصّل القسمَ الأول بقوله:

..... فَسَبْعةٌ تَعُمُّ كُـــــلَّ مَـــنْ عَقَلْ
رِيحٌ وَغَائِـــطٌ وَبَوْلٌ مَذْيٌ وَسَلَسٌ يَنْـــــــدُرُ ثُـــــمَّ وَدْيٌ

مَنِيُّنَا بِنَحْوِ لَسْعِ عَقْـــرَبِ وَحَـــرِّ مَاءٍ ثُمَّ حَكِّ جَـــــرَبِ(50)

والقسم الثاني بقوله:

وَالثَّانِيَاتُ سَبْعَةٌ مَسّ الذَّكَرْ لَمْسٌ وَقُبْلَةٌ وَنَـــــوْمٌ مُعْتَبَـــــــرْ
زَوَالُ عَقْلٍ شَكُّنَا فِي نَاقِضِ وَرِدَّةُ الْمَحْصُورِ في النواقـــــض(51)

فقوله في القسم الأول: ريح وغائط بدلُ مفصّل من مُجمل، وكذا في القسم الثاني.

المطلب الثاني ـ المنهج الفقهي عند الشيخ قرّيو:

الفرع الأول ـ حسْنُ ترتيبه للأبواب والفصول، ومراعاةُ المناسبة بينها:

عُنيَ الشيخ قرّيو في نظمه بترتيب الأبواب والفصول الفقهية وفق تسلسل يتلاءم مع طبيعة المسائل وأهميتها، مع مراعاة التناسب والارتباط بين الفصول والأبواب، فهو يعرض المسائلَ بطريقةٍ تجعل القارئ يدركُ العلاقة بين الأحكام المختلفة، مما يعزّزُ فهم الفقه كوَحْدةٍ واحدة، ويُسهم في سهولة الفهم والحفظ، فمثلا: عند نظمه لفصل: الحيض والنفاس، أعقبه ببابِ: أقسام المياه، لمناسبةٍ بينهما، وهي أن الحدثين الأصغرَ والأكبرَ لا يُرْفَعان إلا بالماء، فأتى ببابِ: أقسام المياه ليُبيّنَ أيُّ هذه الأقسامِ يَرفعُ مَا ذَكره من الأحداث.

وفي الباب ذاته (باب أقسام المياه) أتى الشيخُ بفصلٍ بيّن فيه المياه المكروهةَ وأحكامَهَا، وذلك لحصول التطهير بها وإنْ كانت مكروهة حال وجود غيرها من المياه، وهكذا في سائر الأبواب والفصول.

الفرع الثاني ـ الاعتناء بتعريف المصطلحات الفقهية:

يُعدُّ فهم المُصْطلحات الفقهية أساسًا جوهريا في دراسة علم الفقه؛ حيث تضبط المصطلحاتُ المفاهيم التي تنبني عليها مسائلُ هذا العلمِ، فالمصطلح الفقهيُّ مفتاحٌ يتيح لدارسِ الفقه إدراكَ الأحكام الشرعية وتصوّرَ المسائل، ومن هنا جاء الاهتمام بهذا الجانب.

وقد اعتنى الشيخ قرّيو في منظومته لمتن العشماويّة ببيان المصطلحات الفقهية وإيضاحِ معانيها، وهذا في النظم مَيْزةٌ دون النّثر؛ لأنَّ سبك معاني المصطلحات الفقيهة في بيت شعريّ يختصر الكثير من الألفاظ المستعملة لهذا المعنى، ويُضْفي لمسة جمالية في عرض هذه المعاني بأسلوب موزون، مما يجعل النظم محلّ دراسةٍ واهتمام، ويُمكنُ أن نُجْملَ سِماتَ هذه الجُزئيةِ في الآتي:

1-تقديمُ تعريفٍ جامعٍ للمصطلح الفقهي، يُبيّنُ معناه في سياق المذهب، مع ذكر مُحْترزاته أحيانا.

2-سبكُهُ للتعريف في قالب شعريٍّ موزنٍ لا يتجاوز البيتَ الواحدَ غالبا، مما يسهّلُ حفظه واستحضاره، وهذا يدلُّ على مُكْنَةِ الشيخ من قواعد النظم.

3-اعتمادُ الشيخِ في التعريفات على مصادرِ المذهب التي ذكرها في مقدمة نظمه، فكان غالبا ما يقتبسُ التعريفَ منها، وهذا في الفصول والجزئيات التي أضافها على الأصل.

وفيما يلي أمثلة على ذلك:

1-**تعريفه لمصطلح الحَيْضِ**: عرّف الشيخ الحيض بأنّه دمٌ أو شِبْهُهُ، وهو الصُّفْرةُ وَالكُدْرةُ، يخرج بنفسه من فرْجِ أنثى تحمل، فقال:

حَيْضٌ دمٌ أوْ شِبْهُهُ قَدْ يَنزِلُ بِنفْسِه مِنْ فرْجِ أُنْثَى تَحْمِلُ(52)

وقيّد الشيخ نزولَ الدم بنفسه احترازا مما نزل بعلاج أو ولادة أو غيرهما، فلا يُسمّىَ هذا الدمُ حيضا، وكذلك قيّد خروجه من فرج من تحمل احترازا مما يخرج من الدبر فليس بحيض أيضا، ومما ينزل من الصغيرة غير البالغة، والكبيرة الآيسة، لأنهما لا تحملان عادةً.

2-**تعريفُه لمصطلح الطهارة:** عرّفها الشيخ بأنّها صِفَةٌ حُكْمِيةٌ تُبِيحُ طَاعةً وتَرْفعُ الأحداث، فقال:

حَقِيقَةُ الطَّهَارَةِ الشَّـــــرْعِيّةْ بِالاْتِّفَاقِ صِفَـــةٌ حُكْميّـــــةْ(53)
تُبِيحُ طَاعَةً وَمَسّ مُصْحَفِ وَتَرْفَعُ الأَحْدَاثَ أَيْضًا فَاعْرِفِ(54)

الفرعُ الثاني - الاعتناء بتعليل الأحكام الفقهية(55) :

تميّز الشيخ قرّيو في مصنّفاته بمنهج علميٍّ رصين يجمع بين المعقول والمنقول، جريا على أصول مذهبه المالكي، وإنّ الناظر في تراث الشيخ ليجدُ ذلك بارزا من خلال اعتنائه بمقصد الحكم الشرعي وحِكمته.

وظهرتْ عنايةُ الشيخِ بِتعليلِ الأحكامِ الفقهيةِ، وسعيُهُ لبيانِ حِكْمَةِ التشريع في النظم الذي بين أيدينا، فقد أحيا فيه روح الحكم الشرعي، وكشف عن بعضِ أسراره، بربط الحكم بعلّته، وتضمينُ ذلك في النظم من أعظم المزايا التي تُضْفِي عليه بُعدا علميا، وتبرهنُ على تضلّعِ الناظم ورسوخِه في فهم الأحكام الشرعية، لأنَّ النظم بطبيعته يميل إلى

الإيجاز والاختصار، مما يجعل التعليل فيه تحديا عليما يتطلّب من الناظم ملكة فقهية وقريحة أدبية، وفيما يلي نماذجُ من تعليله للأحكام الفقهية:

1-تعليلُ تسمية الماء (بالماء المطلق): بيّن الشيخ أنّ الماء الذي يُسْتَعْملُ لرفع الحدث الماءُ المطلقُ الطّهورُ، وعلَّلَ سببَ تسميته (بالمطلق)؛ لأنّه يَصدقُ عليه اسمُ ماءٍ بلا قيدٍ إضافيٍّ أو وصفيّ[56] فيُكتفى بالإخبار عنه بمجرد إطلاق اسم الماء عليه[57]، قال الشيخ:

..... وَأَوَّلُ الْأَقْسَامِ مُطلَقٌ طَهُورْ
لأنَّهُ يَصْدُقُ عَنْدَ لَفْظِ مَا بِدُونِ قَيْدٍ مَعَهُ قَـــدْ لَـــزِما[58]

2-تعليل تَحْريكِ السَّبَابة في التَّشهُّد: يُندبُ للمُصلِّي عند التَّشهّد أن يَعْقَد أصابع يده اليمنى، الخِنْصِرَ وَالبِنْصِرَ والوُسْطَى، ويَبسطَ سبّابته مع الإبهام، ويشيرَ بسبّابته وقد بسط جنْبَها قُبَالةَ وجهه، مع تحريكها يمينا وشمالا؛ وعِلّةُ ذلك كما بيّن الشيخ أنّها مُقمِعَةٌ أي مُطردة للشيطان[59] وكان عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبيته وأشار بأصبعه وأتبعها بصره ثم قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: " لَهْيَ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الْحَدِيدِ يعني السَّبابة"[60]، وفي ذلك يقول الشيخ:

وَعَقْدُ وُسْطَى ثُـــمَّ خِنْصَرْينِ مِـــن الْيَمِينِ فِي التَّشَهُّدِيْنِ
تَحْرِيكُ سَبَّابَتِهَا لِلطَّـــــــرْدِ وَبسْطُ يُسْرَاهُ تَمَامُ الْعَـــــــدِّ[61]

الفرع الثالث ـ الاعتماد على القول المعتمد[62] والمشهور[63] في المذهب:

تميّزَ مذهب الإمام مالك – رضي الله عنه – بكثرة مصادره وتنوّعها؛ وذلك سبب انتشاره في الأمصار عن طريق أصحابه الذين حالوا نشره بواسطة الروايات والتأليف؛ ونظرا لكثرة هذه الأقوال والروايات المنقولة عن الإمام وأصحابه، اجتهاد علماء المذهب في ضبط الفتوى والقضاء بتحديد الأقوال المعتمدة والمشهورة والراجحة، وهي التي استقرت عليها آراء المحققين من الفقهاء بعد دراسة دقيقة ومواونة بين تلك الأقوال والروايات.

إنَّ الالتزام بالقول المعتمد والمشهور في المذهب يساهم في تحقيق الاستقرار الفقهي، ويوحد الاجتهادات، ويسهّل الرجوع إلى الأحكام الصحيحة؛ مما يمنع الفوضى الفقهيةَ

والتذبذبَ بين الأقوال الشاذة أو الضعيفة، يقول الإمام المازري[64] – رحمه الله -: " لست ممن يحمل الناس على غير المعروف المشهورِ من مذهبِ مالكٍ وأصْحابِه؛ لأنَّ الورع قلَّ، بل كاد يُعْدَم، والتحفظ على الديانات كذلك، وكَثُرَتْ الشهوات، وكَثُرَ من يدَّعي العلمَ ويتجاسر على الفتوى فيه، فلو فُتِحَ لهم بابٌ في مخالفة المذهب؛ لاتسع الخرقُ على الراقع، وهتكوا حجاب هيبة المذهب، وهذا من المفسدات التي لا خفاء بها"[65]

يقول الشاطبي [66]مُعلّقا على ذلك: " انظر كيف لم يستجز -وهو المتفق على إمامته- الفتوى بغير مشهور المذهب، ولا بغير ما يعرف منه بناء على قاعدةٍ مَصْلحيةٍ ضرورية؛ إذ قلّ الورع والديانة من كثير ممن ينتصب لبث العلم والفتوى كما تقدم تمثيله؟ فلو فتح لهم هذا الباب لانحلت عرى المذهب، بل جميع المذاهب..." [67]

وقد سلك الشيخ قريو – رحمه الله – مَهْيَعَ هؤلاء الأفذاذ فتقيّد في نظمه بالقول المعتمد والمشهور في المذهب، وفيما يلي أمثلة على ذلك:

3-**انتقاض الوضوء بالهادي:** عدَّ المالكية في القول المُعتمد (الهادي) من نواقض الوضوء؛ لأنَّه خرج من المخرج المُعتاد، يقول الشيخ خليل في مختصره: " وَوَجَبَ وُضُوءٌ بِهَادٍ"[68]، قال الشيخ العدويُّ[69] مُعلّقا: " وهو المُعتمدُ"[70] ، وقد سار الشيخُ قرّيو في نظمه على ذلك، فعدّه من النواقض أيضا، قال – رحمه الله -:

وَلا انْتِقَاضَ بِسِوَى مَا ذُكِرَا إلا بِهَادٍ والَّذِي قَدْ نَـــدَرَا[71]

4-استحبابُ تخليلِ أصَابعِ الرِّجلينِ: لا يجبُ على المتوضئ تخليلُ أصابع الرجلين، فإن شاء خلَّلَ وإن شاء ترك، لكنْ يُستحبُ تخليلهما في القول المشهور، لحديث المستورد بن شداد، قال: (رأيتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – توضّأ فخلَّلَ أصَابِعَ رِجْلَيْه)[72] ، وعدَّ الشيخ قريو تخليلهما من فضائل الوضوء اتِّباعا لمشهور المذهب، فقال:

تَخْلِيلُنا أصَابِعَ الأقـــدَامِ دُعَاؤُنا الوَارِدُ في التَّمامِ[73]

وأحيانا يصرّح الشيخ بذكر لفظ المشهور كما فعل في مسألة صلاة الجمعة بطرق المسجد القريبة المتصلة، إن ضاق المسجد أو لم يضق على المشهور؛ إن اتصلت الصفوف، قال الشيخ:

وَلَوْ بِلَا ضِيقٍ عَلَى الْمَشْهُورِ لَا سَطْحِه وَلَا جِوَارَ الدُّورِ[74].

الفرع الرابع ـ الإشارةُ لِلْخِلَافِ الْفِقْهِيّ:

على الرغم من جَرْي الشيخ في منظومته على القول المعتمد والمشهور في المذهب، إلا أنه أشار في بعض الأبيات إلى الخلاف الفقهي داخل المذهب. وقد استعمل الشيخ – في الغالب – للإشارة إلى الخلاف حرفَ المبالغة **"لو"** مُقْتدِيًا بِمَا سَارَ عليه الشيخ خليل بن إسحاق في مختصره الفقهي، حيث أشار بها إلى الخلاف المذهبي[75]، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

1ـمسألة طهارة مياه آبار ثمود والمياه التي نهى الشارع عنها: عند ذكر الشيخ لأقسام المياه، بيّن أن القسم الأول هو الماء المطلق الطهور، وأنه طاهر مطهّرٌ لغيره ولو نهى عنه الشارع، إشارة منه إلى من قال بنجاسة هذه المياه من أهل المذهب بلازم النهي[76] فقال:

وطَـــاهِرٌ مُطَهّرٌ لِغَيْرِه وَلَوْ نَهَى الشَّارِعُ عَنْه فَادْرِه[77]

2ـمسألة وقوع النجاسة في المائعات: بيّن الشيخ أن النجاسة إذا وقعت في مائع كالزيت والعسل وغيرهما ينجس ولو كان المائع كثيرا والنجاسة قليلة، وهذا هو المشهور من المذهب، ولكنّه أشار في البيت إلى وجود خلاف وقول يقابل القول المشهور[78]، فقال:

فَإنْ تَقَعْ فِي مَائِعٍ يَنْجُسْ وَلَوْ كَثُرَ مَـــعْ قِلَّتِهَا كَمَـــا رَوَوْا[79]

الفرع الخامس ـ توظيفه للقواعد الفقهية: تُعدُّ القواعد الفقهية من أهم المرتكزات التي يقوم عليها الفقه الإسلامي؛ حيث تسهم في تنظيم الجزئيات الفقهية المتناثرة ضمن أطُرٍ كليّة جامعةٍ، مما جعلها أداةً فعّالة في استنباط الأحكام الشرعية، وتوجيه الاجتهاد الفقهي. وقدْ أعمل الشيخ قرّيو بعض القواعد الفقهية في نظمه، مما يعكس إدراكه العميق لأهمية هذه القواعد في ضبط الفروع الفقهية، ومن أبرز القواعد التي أعملها الشيخ في نظمه:

قاعدة: كلُّ مَا عَسُـــرَ يُعْفَى عَنْه: تُبْرِزُ هذه القاعدةُ روحَ التيسير في الشريعة الإسلامية، وهي فرعٌ من فروع القاعدة الفقهية الكبرى: " المَشَقّةُ تَجْلبُ التَّيْسير"[80]، ومعناها أن أي أمر يعسرُ على المكلّف وفيه مشقّة زائدة يُعفى عنه شرعا، وقد وظّف الشيخ قرّيو هذه القاعدة في نظمه وأتى ببعض جزئياتها، فقال:

وَقَدْ عَفَوْا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْسُرُ كَسَلَسٍ مُـــــــلَازِمٍ لَا يَنْدُرُ[81]

قاعدة: كُلُّ مَا غَلَبَتْ عَلَيْه النَّجَاسةُ لا يُصَلَّى فيه: هذه القاعدة من فروع القاعدة الفقهية: " إذا تعارض الأصـــل والغالب، هل يؤخذ بالأصـــل أو الغالب"[82] ومعناها: أنه إذا تعارض الأصل وهو البراءة الأصلية أو الاستصحاب، مع الغالب وهو الظنُّ القوي الذي قابله، أيّهما يُقدّم؟ للمالكية في ذلك قولان:

ـ يُقدّمُ الأصل على الغالب؛ لأن الأصل براءة الذمة.

ـ يُقدّمُ الغالب على الأصل في بعض الصور، لترجّحه بالظواهر وقرائن الأحوال[83]

وقد وظّف الشـــيخ هذه القاعدة عند حديثه عما يُلْبس في الصـــلاة، وبيّن أن كلّ ما غلبت عليه النجاســـة لا يصـــلّى فيه، وصـــرّح بذكر بعض الجزئيات المندرجة تحت القاعدة للتوضيح، كثوب الكافر والسكِّير، فقال:

وَكُلُّ ما التَّنْجِيسُ عَنْهُ يَغْلُبُ فَفِي الصَّـــــــلاةِ لُبْسُهُ يُجْتَنَبُ
كَثَوْبِ كافِرٍ وَسِكِّيرٍ وَمَـــا حَاذَى فُرُوجَ الجَاهِلِينَ فَاعْلَمَا[84].

الخاتمة:

1-يعتبر الشيخ قريو من أعلام المذهب المالكي، وممن جمع بين المعقول والمنقول، فينبغي مزيد الاهتمام والاعتناء بتراثه.

2-تعدّ منظومة الشيخ قريو لمتن العشماوية من الأعمال الفقهية المهمة التي جمعت بين الاختصار والدقة، مما جعلها مرجعا للمبتدئين والمنتهين في دراسة الفقه المالكي.

3-تميّزت منهجية الشيخ بالاعتماد على المصادر المعتمدة في المذهب المالكي، مع مراعاة التيسير وتبسيط العبارة؛ لتسهيل فهم الأحكام الشرعية.

4- الإضافة العلمية: أضاف الشيخ قرّيو إلى متن العشماوية بعض الأبواب والفصول التي رأى ضرورتها للمبتدئين؛ مما أثرى المنظومة أكسبها أهمية علمية.

5-اعتنى الشيخ بتعليل الأحكام وترتيب الأبواب والفصول بشكلٍ منطقي؛ مما ساهم في تذليل المسائل الفقهية وربطها ببعضها.

5- التزم الشيخ بالقول المعتمد والمشهور في المذهب المالكي، الأمر الذي يعكس حرصه على الاستقرار الفقهي وتجنّب الفوضى في الاجتهادات.

التوصيات:

1- الاعتناء بتراث الشيخ وإخراجه سلسلة كاملة محققة، وطبعة تليق بمقام الشيخ ومكانته العلمية.

2-دراسة التعليل الفقهي عند الشيخ قريو من خلال أنظامه وشروحه، فهي مادة علمية ثرية.

3- شرح ما نظمه الشيخ من منظومات فقهية، فقد اعتمد فيها على مشهور مذهب مالك، وسلك في نظمها سبيل التيسير، فهي حرية بالشرح والطبع.

4-يوصى بالالتزام بالقول المعتمد والمشهور في المذهب عند التأليف؛ لتجنّب التشتت والفوضى في الفتوى.

واللهَ نسأله الإعانة والتوفيق، فإنه وحده المأمول والمسؤول.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

الهوامـــــــــــــش:

(1) هو الإمام الفقيه، قاضي القضاة، الشيخ أبو النضر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السـبكي، كان طلق اللسـان، قوي البرهان، انتهت إليه ولاية القضـاء بالشـمام، من مؤلفاته: جمع الجوامع، الأشباه والنظائر، توفي سنة: 771هـ، ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعارف، بيروت، (د. ط)، (د. ت).، 410/1.

(2) هو المحدث المسند، الشيخ أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن حسن بن علي بن بيان الصالحي الحجار، سمع من ابن الزبيدي، حدّث بالصحيح أكثر من سبعين مرة، ورحل إليه خلق كثير للأخذ عنه، توفي سنة: 730هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي ابن حجر العسـقلاني، تح: محمد ضـان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط: 2، 1972م. ، 165/1-166.

(3) معجم الشـيوخ، تاج الدين السـبكي، تح: بشـار عواد وآخرون، دار الغرب الإسـلامي، ط: 1، 2004م. ص: 64.

(4) ينظر: تراجم أعيان العلماء من أبناء مصـــراتة القدماء، محمد مفتاح قريو، مطبعة النهضـــة الجديدة، (د. ب)، ط: 1، 1970م. ، ص: 3، جواهر الفقه، محمد مفتاح قريو، مكتبة الشـعب للنشـر والتوزيع، مصراتة، ليبيا، ط: 2، 2008م.، ص: 8، تراجم ليبية، دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا، جمعة محمود الزريقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 2005م.، ص: 274.

(5) ينظر: تراجم ليبية، جمعة الزريقي، م. س، ص: 274، ومقدمة الشـيخ مصـطفى قواسـم لكتاب جواهر الفقه، محمد قريو، م. س، ص: 8.

(6) م. ن، ص: 8- 9.

(7) ينظر: تراجم ليبية، جمعة الزريقي، م. س، 274، ومقدمة الشيخ مصطفى قواسم لكتاب جواهر الفقه، محمد قريو، م. س، ص: 9.

(8) ينظر: تراجم ليبية، جمعة الزريقي، م. س، ص: 274-275، ومقدمة الشـيخ مصـطفى قواسـم لكتاب جواهر الفقه، محمد قريو، م. س، ص:10-14، وومضـــات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، مصطفى عبد الرحيم أبوعجيلة، (د. د)، (د. ط)، (د. ت).، 2/94-95.

(9) ينظر: ومضـــات من الفكر والثقافة في ليبيا، مصـــطفى عبد الرحيم أبوعجيلة، م. س، 2/153-173، ومقدمة الشيخ مصطفى قواسم لكتاب جواهر الفقه، محمد قريو، م. س، ص: 16-24

(10) ينظر: تراجم ليبية، جمعة الزريقي، م. س، ص: 275إلى 285، ومقدمة الشيخ مصطفى قواسم لكتاب جواهر الفقه، محمد قريو، م. س، ص: 21إلى 24.

(11) ينظر: ومضـات من الفكر والثقافة في ليبيا، مصـطفى عبد الرحيم أبوعجيلة، م. س، 2/148، ومقدمة الشيخ مصطفى قواسم لكتاب جواهر الفقه، محمد قريو، م. س، ص: 24.

(12) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار الحياة، بيروت، (د. ط)، (د. ت). ، 4/23.

(13) هو خليل بن إسحاق الجندي، (ضياء الدين أبو المودة)، الإمام الهمام أحد شيوخ الإسلام والإئمة الأعلام، الفقيه الحافظ المجمع على جلالته وفضـــله، الجامع بين العلم والعمل تعلم في القاهرة، وولي الإفتاء على مذهب مالك، من مؤلفاته: المختصـر في الفقه، والتوضـيح، ينظر: شـجرة النور الزكية، محمد مخلوف، 1/321.

(14) هو العلامة محدّث المغرب، ذهبي عصره، وإمام وقته، الصوفيّ الكبير، سليل العترة الطاهرة، أبو اليســر عبد العزيز بن شــمس الدين محمد بن محمد الصّــديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغماري الإدريســي، اشــتغل بالتدريس في مدينة طنجة بالمغرب، مع الاشــتغال بالأوراد والذكر والخطابة والتأليف، ومن مؤلفاته: القول الأسـد في إبطال حديث(رأيت ربي في صـورة شـاب أمرد)، وإتحاف ذوي الهمم العلية في شـــرح العشـــماوية، ينظر: علماء وصـــلحاء أدركتهم، عبد الله عبد المؤمن الغماري، منشورات دار الأمان، الرباط، ط: 1، 1435ه/2014م.، ص:65،81.

(15) ينظر: إتحاف ذوي الهمم العلية بشـرح العشـماوية، جمال الدين عبدالعزيز الصـديق الغماري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: 1، 1408ه/1988م.، ص: 161.

(16) فتاوى العالم الجليل الشيخ محمد مفتاح قرّيو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، 2/67.

(17) حاشـية على عون السـاعي في نظم عشـماوية الرفاعي، محمد مفتاح قريو، كلية الدراسـات الإسلامية، جامعة مصراتة، (د. ط)، 2018م.، ص: 19.

(18) فتاوى العالم الجليل الشـــيخ محمد مفتاح قرّيو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س 2/ 114.

(19) المَيْنُ: الكذب، تقول العرب: رجل مائن؛ أي كاذب، وتصـــريفه: مان يمين مَيْنًا. ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، 379/15.

(20) فتاوى العالم الجليل الشـــيخ محمد مفتاح قرّيو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 104/2.

(21) م. ن، 68/2، وحاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، محمد مفتاح قريو، م. س، ص: 30.

(22) ما ذكره في هذا البيت مُقتبس من قول الشيخ الدردير في أقرب المسالك: " (إنَّمَا يُتَيَمَّمُ لِفَقْدِ مَاءٍ كَافٍ بِسَفَرٍ أَوْ حَضَرٍ، أَوْ قُدْرَةٍ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ، أَوْ خَوْفِ حُدُوثِ مَرَضٍ أَوْ زِيَادَتِهِ أَوْ تَأَخُّرِ بُرْءٍ"، أقرب المسالك، أحمد الدردير، ص: 10.

(23) فتاوى العالم الجليل الشـــيخ محمد مفتاح قرّيو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 76/2، وحاشـية الشـيخ قريو على عون السـاعي في نظم عشـماوية الرفاعي، محمد مفتاح قريو، م. س، ص: 216.

(24) هو أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يِلّين، الصنهاجي الأصل، المصري، البهفشي، المشهور بالقرافي، المالكي، الفقيه الأصولي، المفسر المتكلم، النظار المتفنن، شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، وإليه انتهت رئاسة المذهب المالكي، من مصنفاته: الذخيرة في فروع المالكية، والقواعد، والتنقيح في أصول الفقه، توفي بدير الطين سنة: (684ه)، ينظر: الديباج المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون، تح: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).، 236/1،239.

(25) الإحكام، شـهاب الدين القرافي، اعتنى به: عبد الفتاح أبوغدة، دار البشـائر، بيروت، لبنان، ط: 2، 1416هـــ/1995م.، ص: 244.

(26) حاشية على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، محمد قرّيو، م. س، ص: 31، وفتاوى العالم الجليل الشيخ محمد مفتاح قرّيو وبعض آثاره العلمية، تح: جمعة الزريقي، م. س، 68/2.

(27) حاشـية على عون السـاعي في نظم عشـماوية الرفاعي، محمد مفتاح قريو، م. س، ص: 211، هذا البيت لا يوجد في النظم المثبت ضمن آثار الشيخ وفتاويه.

(28) المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، عبد الواحد بن عاشر، ص:8.

(29) وَهُوَ إزَالَةُ النَّجَاسَةِ عَنْ أَحَدِ الْمَخْرَجَيْنِ بِكُلِّ يَابِسٍ مِنْ حَجَرٍ - وَهُوَ الْأَصْلُ - أَوْ غَيْرِهِ مِنْ خَشَبٍ أَوْ مَدَرٍ: وَهُوَ مَا حُرِقَ مِنْ الطِّينِ - أَوْ خِرَقٍ أَوْ قُطْنٍ أَوْ صُوفٍ أَوْ نَحْوِ ذَلك. ينظر: أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد الدردير،، 100/1-101.

(30) حاشـية على عون السـاعي في نظم عشـماوية الرفاعي، محمد قريو، م. س، ص: 177، هذان البيان ضمن باب: طهارة الخبث، ولا يوجد هذا الباب في النظم المثبت في آثار الشيخ وفتاويه.

(31) أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، أحمد الدردير، ص: 6.

(32) هو الفقيه المالكي، شيخ الشيوخ الخلوتي، أبو العباس أحمد بن محمد الصـاوي، أخذ عن الشيخ الدردير، من مؤلفاته: حاشية على تفسير الجلالين، وحاشية على أقرب المسالك، توفي سنة: 1241ه. ينظر: شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، م. س، 522/1.

(33) هو جلد الحمار المدبوغ أو جلد البغل المدبوغ، ينظر: عبد الباقي الزرقاني، شـــرح الزرقاني على مختصـر خليل، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، تح: طه سـعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: 1، 1423ه/2003م. ، 55/1.

(34) حاشية على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، محمد مفتاح قريو، م. س، ص: 136، هذا البيت لا يوجد في فصل المياه المكروهة بالنظم المثبت في آثار الشيخ وفتاويه، وآخر بيت فيه هو البيت الذي قبله.

(35) بلغة السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، 1995م. م. س، 25/1.

(36) حاشية على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، محمد مفتاح قريو، م. س، ص:221، هذا البيت لا يوجد ضمن أبيات فصل التيمم بالنظم المثبت بآثار الشيخ وفتاويه.

(37) ضوء الشموع في شرح المجموع، محمد الأمير المالكي، تح: محمد محمود المسومي، دار يوسف بن تاشفين، موريتانيا، ط: 1، 1426ه/2005م. ، 236/1.

(38) السؤر بضم السين المهملة وسكون الهمزة وقد تسهل بقية شرب الدواب وغيرها. ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد الحطاب، 71/1.

(39) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 71/2، وحاشية على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، محمد مفتاح قريو، م. س، 108.

(40) المختصر، خليل بن إسحاق، ص: 8.

(41) أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك، سيدي محمد البشار، دار الأندلس الجديدة، مصر، ط: 1، 1430هـ/2009م.، ص: 54، وفتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 80/2.

(42) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 68/2، وحاشية على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، محمد مفتاح قريو، م. س، ص: 28.

(43) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 81/2. هذان البيتان لا يوجدان في الجزء المحقق من حاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي.

(44) غرة الشهر أوّله وطليعته. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، 1606/2.

(45) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 102/2. هذان البيان ضمن باب الصيام ولا يوجد الباب في الجزء المحقق من حاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي.

(46) جاءت بالقصر لضرورة الوزن.

(47) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 68/2، وحاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص: 47- 49.

(48) هو الإمام المتبحر، الأديب، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن محبوب البصري المعتزلي، ملأ الدنيا علما وبيانا، صاحب التصانيف الماتعة، منها: الحيوان، البيان والتبيين، توفي سنة: 255هـ، ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، (د. ب)، ط: 15، 2002م.، 74/5.

(49) البيان والتبيين، أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د. ط)، 1423هـ. 75/1.

(50) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 68/2-69، وحاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص: 54.

(51) م. ن، ص: 61، وفتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 69/2.

(52) ما ذكره الشيخ من تعريف الحيض هو معنى قول الشيخ الدردير في أقرب المسالك: " الْحَيْضُ دَمٌ أَوْ صُفْرَةٌ أَوْ كُدْرَةٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ مِنْ قُبُلِ مَنْ تَحْمِلُ عَادَةً"، ينظر: أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد الدردير، ص: 12.

(53) أَيْ يَحْكُمُ الْعَقْلُ بِثُبُوتِهَا وَحُصُولِهَا فِي نَفْسِهَا فَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الْأَحْوَالِ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ بِالْحَالِ، أَوْ مِنْ الصِّفَاتِ الِاعْتِبَارِيَّةِ عِنْدَ مَنْ لَا يَقُولُ بِالْحَالِ؛ كَالْوُجُودِ وَالظُّهُورِ وَالشَّرَفِ وَالْخِسَّةِ؛ فَإِنَّهَا صِفَاتٌ حُكْمِيَّةٌ، أَيْ اعْتِبَارِيَّةٌ يَعْتَبِرُهَا الْعَقْلُ. أَوْ أَنَّهَا أَحْوَالٌ: أَيْ لَهَا ثُبُوتٌ فِي نَفْسِهَا، وَلَيْسَتْ وُجُودِيَّةً كَصِفَاتِ الْمَعَانِي، وَلَا سَلْبِيَّةً بِأَنْ يَكُونَ مَدْلُولُهَا سَلْبَ شَيْءٍ كَالْقِدَمِ وَالْبَقَاءِ. ينظر: الشرح الصغير على أقرب المسالك، أحمد الدردير، م. س، 25/1.

(54) هذا التعريف هو معنى قول الشيخ الدردير في حدّ الطهارة: " الطَّهَارَةُ صِفَةٌ حُكْمِيَّةٌ يُسْتَبَاحُ بِهَا مَا مَنَعَهُ الْحَدَثُ أَوْ حُكْمُ الْخَبَثِ"، ينظر: أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد الدردير، ص:

(55) المقصود به الكشف عن علل الأحكام وإيضاحها، ذكرا من الشارع، أو استنباطا من المجتهد. ينظر: تعليل الأحكام، محمد مصطفى شلبي، مطبعة الأزهر، القاهرة، (د. ط)، 1947م.، ص: 12.

(56) هذا هو مشهور المذهب، ويقابله قول ابن الحاجب وهو أن المطلق الذي لم يخالطه شيء وبقي على أصل خِلقته، وذلك يجعل الماء المتغير بقراره أو المجاورة أو المتولد منه ملحقا بالمطلق وليس مطلقا؛ لأن المطلق عندهم أخص من الطهور. ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، أبو عبد الله الحطاب، 45/1.

(57) ينظر: شرح الخرشي على مختصر خليل، ومعه حاشية العدوي، محمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د. ت). ، 64/1.

(58) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 71/2، وحاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص: 105.

(59) هذا هو مقتضى التعليل كما يقول الشيخ عبد الباقي في شرحه على المختصر، وقيل تحريكها إشارة إلى التوحيد، وقيل، يشتغل به عن السهو، ينظر: التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، خليل بن إسحاق الجندي، تح: أحمد نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، (د. ب)، ط: 1، 1428هـ /2008م.، 366/1.

(60) المسند، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، (د. ب)، 1421هـ/2001م.ند، مسند عبد الله بن عمر، حديث رقم: 6000، 204/10.

(61) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمع وتحقيق وتعليق: جمعة محمود الزريقي، مطبعة ليبيا الآن، ط: 1، 1473ه/2016م ، م. س، 81/2. هذان البيتان لا يوجدان في النسخة المحققة من حاشية عون الساعي المحققة.

(62) هو القول القوي سواء كانت قوته لرجحانه أو لشهرته، فيعم الراجح والمشهور. ينظر: دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه مالك، حمدي عبد المنعم شلبي، مكتبة ابن سينا، مصر، (د. ط)، 1990م.، ص: 18.

(63) تباينت أقوال علماء المذهب في تعريفه، فقيل هو ما قوي دليله فيكون بمعنى الراجح، وقيل هو ما كثر قائلوه، وقيل هو رواية ابن القاسم عن الإمام في المدونة.

(64) هو الإمام العلامة، البحر المتفنن، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي، أحد الأعلام المشار إليهم في الفقه والحديث والكلام، أخذ عن اللخمي والسوسي، من أبرز

مصنفاته: المعلم بفوائد شرح مسلم، وإيضاح المحصول في الأصول، توفي بالمهدية سنة: 536ه. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تح: مجوعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، (د. ب)، ط: 3، 1405هـ/1985م.، 104/20.

(65) الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، 101/5.

(66) هو الإمام الأصولي المقاصدي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، كان أصوليا مفسرا، فقيها محدثا، لغويا بيانيا، بارعا في العلوم، من أفراد العلماء المحققين، صاحب نظرية المقاصد، والكتب الرصينة التي منها: الموافقات، والاعتصام، توفي في شعبان، سنة 790ه، ينظر: التنبكتي، (أحمد بابا بن أحمد) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط: 3، 2000م، ص:48،49،50.

(67) الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، م. س، 101/5.

(68) مختصر خليل، خليل بن إسحاق، م. س، ص: 26.

(69) هو الفقيه المحقق علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي، شيخ شيوخ فقهاء المالكية في زمانه، صاحب الحواشي والتحقيقات على معتمدات الفقه المالكي، من مؤلفاته: حاشية على كفاية الطالب الرباني، وحاشية على شرح العزية للزرقاني، توفي سنة1189ه، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن مخلوف، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:1، 1424هـ/2003م.، 1/ 492،493.

(70) شرح الخرشي على مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرشي، م. س، 210/1.

(71) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 69/2، وحاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص: 73.

(72) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، كتاب الطهارة، باب: غسل الرجلين، حديث رقم: 148، 79/1.

(73) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 75/2، وحاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص: 197.

(74) فتاوى الشيخ محمد مفتاح قريو وبعض آثاره العلمية، جمعة الزريقي، م. س، 88/2. هذا البيت لا يوجد في الجزء المحقق من حاشية عون الساعي.

(75) قال الشيخ خليل: "وَبِلَوْ إلَى خِلَافٍ مَذْهَبِيٍّ"، خليل بن إسحاق، المختصر، ص:1

(76) قال صحاب مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن محمد الحطاب، دار الفكر، (د. ب)، ط: 2، 1412ه/1992م. : " قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ أَمْرُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِإِرَاقَةِ مَا سَقَوْا وَعَلْفَ الْعَجِينِ لِلدَّوَابِّ حُكْمٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ بِالنَّجَاسَةِ إذْ ذَلِكَ حُكْمُ مَا خَالَطَتْهُ النَّجَاسَةُ أَوْ كَانَ نَجِسًا وَلَوْلَا نَجَاسَةُ الْمَاءِ لِمَا أُتْلِفَ الطَّعَامُ الْمُحْتَرَمُ شَرْعًا"، الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 49/1.

(77) حاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص: 105. هذا البيت لا يوجد ضمن النظم المحقق في آثار الشيخ وفتاويه التي حققها الدكتور الزريقي.

(78) الخلاف الذي أشار إليه الشيخ هو رواية ابن سحنون عن نافع، قال: في الجباب التي في الشام للزيت تموت فيه الفأرة إن ذلك لا يضر الزيت، وليس الزيت كالماء في هذا". ينظر: النوادر والزيادات، عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي زيد القيرواني، تح: عبد الفتاح الحلو وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1999م.، 380/4، وقال الحطاب : في المائع الكثير الذي وقعت

فيه نجاسة: "قِيلَ: إنَّهُ لَا يَنْجُسُ إذَا لَمْ يَتَغَيَّرْ وَلَا يَحْتَاجُ إلَى غَسْلٍ كَمَا حَكَاهُ الْبُرْزُلِيُّ عَنْ الْمَازِرِيِّ". ينظر: الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 110/1.

(79) حاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص:157. هذا البيت ضمن فصل الأعيان النجسة، ولا يوجد الفصل كاملا في النظم المحقق في آثار الشيخ وفتاويه.

(80) الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1411هـ/1990م.، ص:85.

(81) حاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص:166. هذا البيت ضمن باب طهارة الخبث وهو غير موجود بالنظم المحقق في آثار الشيخ وفتاويه.

(82) إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، أحمد بن يحيى الونشريسي، تح: الصادق الغرياني، دار بن حزم، بيروت، ط:1، 1427ه/2006م.، ص:72.

(83) ينظر: تطبيقات قواعد الفقه عند المالكية، الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار الكتاب المتحدة، بيروت، د. ط، 2005م.، ص: 85.

(84) حاشية الشيخ قريو على عون الساعي في نظم عشماوية الرفاعي، م. س، ص:170. هذا البيت ضمن باب طهارة الخبث وهو غير موجود بالنظم المحقق في آثار الشيخ وفتاويه.